الأدلة على وجود الله

أول هذه الموضوعات ، وأهمها ، مسألة البراهين على وجود الله . ومحاولة البرهان على وجود الله برهانا عقليا قديمة ، بدأت في صورتها المنطقية المحكمة عند أرسطو في برهانه على المحرك الأول ، ثم تعاقب الفلاسفة ، خصوصا في العصور الوسطى الإسلامية والمسيحية على السواء ، فأولوا هذه المسألة عناية بالغة. وسنقتصر هاهنا على المعالم العامة لهذه البراهين ، محيلين طالب المزيد في هذا الباب إلى الكتب المختصة. وأشهر هذه البراهين أو الحجج :

١ ـ الحجة الوجودية . ٢ـ الحجة الكونية ٣ـ الحجة الغائية ٤ ـ الحجة الأخلاقية.

فلنأخذ في عرض كل واحدة منها بإيجاز :

١ ـ الحجة الوجودية

الواضع الأول لهذه الحجة في صورتها المنطقية المفصلة هو القديس أنسلم (١٠٣٣ـ ١١٠٩) وعنه أخذها القديس بونا فنتورا (١٢٢١ ـ ١٢٧٤) ، ثم ديكارت (١٥٩٦ـ ١٦٥٠) وليبنتس (١٦٤٦– ١٧١٦) ، وهيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) .

وقد نقدها في عصر أنسلم راهب يدعى جونيلون ، كما نقدها القديس توما الأكويني (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤) ، ثم أمانويل كانط (١٧٢٤ـ ١٨٠٤) . ولقد صرح أنسلم بأنه لا يريد من ورائها إقناع غير المؤمن بوجود الله بأن الله موجود ، بل أراد أن يتعقل مضمون إيمانه : وذلك لأني لا أتعقل لأومن ، بل أومن لأتعقل. ولهذا تستند حجته إلى أمرين :

١ ـ عبارة وردت في سفر المزامير من الكتاب المقدس .

٢ ـ أن الوجود في العقل هو وجود حقا وفعلا .

أما عبارة و المزامير : (المزمور ١٣ ، عبارة (١) فتقول : (يقول الجاهل في قلبه : لا إله. ويعلق أنسلم عليها قائلا : (لكن من المؤكد أن هذا الجاهل حين يسمع قولي: (شيء لا يمكن تصور أعظم من منه ، يفهم ما يسمع ـ وما يفهمه موجود في عقله ، حتى لو لم يفهم أن هذا الشيء موجود... . لكن الشيء الذي لا يمكن تصور أعظم منه ، لا يمكن ألا يوجد إلا في العقل فقط . لأنه إذا كان موجودا في العقل فقط ، فمن الممكن أن يتصور موجود في الواقع أيضا ، وهذا سيكون أعظم . وإذن فإذا كان وما لا يمكن تصور أعظم منه : موجودا في العقل فقط ، فإن ما لا يمكن أن يتصور أعظم منه ، سيكون شيئا يمكن تصور أعظم منه ، ـ وهذا مستحيل طبعا . فيوجد إذن ، من غير شك ، شيء لا يمكن

تصور أعظم منه هو موجود في العقل وفي الواقع معا . وهو موجود حقا بحيث لا يمكن تصور عدم ـ وجوده

وخلاصة هذه الحجة هي أن ما لا يمكن تصور أكمل منه : لا بد أن يكون موجودا في الواقع ، وليس في الذهن فحسب ، وإلا لو كان موجودا في الذهن فحسب، لأمكن تصوره موجودا في الواقع أيضا، فلا يكون التصور الأول صحيحا إذ هناك تصور أكمل منه، بل سيكون تصورا متناقضا . وإذن فلا بد و لما لا يمكن تصور أكمل منه أن يكون موجودا في الواقع والذهن معا.

وقد رد على هذه الحجة راهب بندكتي يدعى جونيلون في كتابه «دفاع عن الجاهل» فقال:أ إنه لم يثبت أنني أفهم مضمون العبارة: الكائن الذي لا يمكن تصور أعظم منه»،

ب) وحتى لو فهمتها فإني لا أستطيع أن أستنتج شيئا منها يتعلق بحقيقة مدلولها في الواقع ، فثم قضايا خاطئة عديدة أفهمها جيدا ،

ج) وإذا كان كل ما هو كامل واقعيا ، فيجب أن أقر بوجود جزائر سعيدة توصف لي وأفهم مدلولها، لكني لا أستطيع مطلقا أن أستنتج من ذلك أنها موجودة بالضرورة.

ورد أنسلم على اعتراضات جونيلون هذه. فأقرّ بأن هذه الحجة الثالثة المتعلقة بالجزائر السعيدة حجة صحيحة . وهي سليمة في جميع الأحوال، إلا حالة واحدة هي حالة الله، لأن حالة الله حالة خاصة تماما متميزة عن سائر الأحوال: (فإذا زعم أحد أنه يظن أن الله غير موجود، فإني أقول إنه حين يظن ذلك فإنه إما أن يفكر فيمن لا يمكن تصور أعظم منه، أو هو لا يفكر فيه. فإن كان لا يفكر فيه، فإنه لا يفكر في عدم وجود من لا يفكر فيه، وإن كان يفكر فيه، فإنه يفكر في كائن لا يمكن أن يتصور غير موجود.

وكما ترى فإن رد أنسلم ضعيف، إذ المشكلة في الانتقال من التصور الذهني إلى الوجود العيني. وأنسلم لم يوضح كيف يمكن هذا الانتقال. ولا يفيده في شيء أن يكون الأمر متعلقا بتصور من نوع فريد لا نظير له، هو تصور الله: فإن هذا التصور هو في ذهن الإنسان، ولا يحمل في باطنه ضرورة وجوده، بل يظل دائما يجول في داخل الذهن، ولا ينقله إلى الخارج إلا برهان هي تجريبي.

من ومع ذلك نجد ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) يأخذ بهذه الحجة. فيقرر أن الله: جوهر لامتناه، سرمدي، ثابت، مستقل (قيوم)، كله علم وكله قدرة، وخالق كل شيء. ولما كان كذلك، وكانت هذه الصفات العظمة والجلال بحيث لا يمكن أن اكون قد استفدتها من نفسي، فلا بد أن نستنتج من ذلك بالضرورة أن الله موجود : وذلك لأنه على الرغم من كون فكرة الجوهر موجودة في ذاتي بوصفي أنا جوهر ، فإنه ما كان لي أن تكون لدي

فكرة جوهر لامتناه، أنا المتناهي، لو لم تكن قد وضعها في نفسي جوهر. وينبغي ألا أتخيل أني لا أتصور اللامتناهي بفكرة حقيقية، بل بنفي ما هو متناه، كما أفهم الكون والظلام بنفي الحركة والنور؛ لأنني - على العكس- أرى بوضوح أنه يوجد في الجوهر اللامتناهي من الحقيقة الواقعية أكثر مما في الجوهر المتناهي ، وتبعا لذلك فإن فكرة اللامتناهي توجدعندي قبل فكرة المتناهي، أي فكرة الله قبل فكرة ذاتي، إذ كيف يتيسر أن اعرف أني أشك وأني أشتهي، أي ينقصي شيء ما وأني لست كاملا تماما، إذا لم تكن عندي أية فكرة عن كائن أكمل مني، وبالمقارنة به أعرف نقائص طبيعتي ...

ثم يخلص ديكارت بعد ذلك إلى تقرير الحجة الوجودية لإثبات وجود الله على الصورة التالية : (من المؤكد أنني لا أجد في نفسي فكرة الله ، أي فكرة الموجود التام الكمال ، كما أجد في نفسي فكرة شكل أو عدد أيا كان ، كما أني أدرك بوضوح وتميز أنه ينتسب الى طبيعة الله وجود فعلي actuelle وسرمدي كما أعرف أن كل ما أستطيع برهنته فيما يختص بشكل أو عدد ينتسب . طبيعة هذا الشكل أو طبيعة هذا العدد ، وتبعا لذلك... فإن وجود الله يجب أن يعد يقينيا عندي مثل يقين كل الحقائق الرياضية، التي لا تتعلق إلا بالأعداد والأشكال، وإن كان هذا الأمر لا يبدو في الحقيقة واضحا تماما، بل عليه مسحة السفسطة. لأني وقد تعودت في سائر الأشياء كلها أن أميز بين الوجود والماهية، فإني أقنع نفسي بسهولة بأن الوجود يمكن أن ينفصل عن ماهية الله، وهكذا يمكن تصور الله على أنه غير موجود بالفعل. لكني حين أفكر في الأمر بمزيد من الانتباه، فإني أجد بوضوح أن الوجود لا يمكن أن ينفصل عن ماهية الله، تماما كما أنه لا يمكن أن نفصل عن ماهية المثلث المستقيم الخطوط كون مقدار زواياه يساوي قائمتين، ولا أن نفصل عن فكرة الجبل فكرة الوادي- حتى إنه لا يمكن تصور الله (أعني الموجود التام الكمال) غير موجود (أي ينقصه كمال ما) كما لا يمكن تصور جبل بدون واد .

ولكن جاء امانويل كانط (١٧٢٤-١٨٠٤) فنقد الحجة الوجودية نقدا عميقا، خصوصا وقد صيغت هذه الحجة على شكل القياس التالي: الله هو الموجود الكامل، والوجود كامل، إذن الله موجود. ولبعض الفلاسفة المعاصرين رد على نقد كانط ودفاع عن الحجة الوجودية والاستناد اليها.